الاثنين 25/2/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (1)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

نبدأ مستعينين الله تعالى بتفسير سورة الكهف.

وهي سورة مكية، **تعرضت لثلاثة قصص من روائع قصص القرآن الكريم:**

أ. قصة أصحاب الكهف.

ب. قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر.

ت. قصة ذي القرنين.

وتعرضت لثلاثة أمثلة ضربها الله تعالى لعباده:

أ. مثل الغني المزهو بماله، والفقير المعتز بعقيدته وإيمانه.

ب. مثل الحياة الدنيا وما يلحقها من فناء وزوال.

ت. مثل التكبر والغرور في قصة إبليس وامتناعه عن السجود.

سميت السورة باسم سورة الكهف؛ لأن فيها قصة أهل الكهف، وقد ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهي رابع سورة من أصل خمسة سور بدأت بالحمد (سورة الفاتحة، والأنعام، وسبأ، والكهف، وفاطر).

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه في فضل سورة الكهف فيقول ((**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ**))، [مسلم عن أبي الدرداء].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((**مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**))، [الإمام أحمد وابن حبان].

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى سُورَةٍ شَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَلَأَ عِظَمُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتَالِيهَا مِثْلُ ذَلِكَ؟))، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((سُورَةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ مَنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الْجُمْعَةَ غُفِرَ لَهُ الْجُمْعَةُ الْأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأُعْطِيَ نُورًا يَبْلُغُ السَّمَاءَ، وَوُقِيَ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ)).

[تفسير القرطبي مشيراً بأنه عن رواية الثعلبي].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ)).

[الحاكم والبيهقي والدارمي].

قال الله تعالى في مطلع السورة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾، [الكهف: 1].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه أحمد، وقد قال العلماء: **(معنى أحمد أي أن الأنبياء كلهم يحمدون الله لكنه صلى الله عليه وسلم أحمد)**.

هذا الحمد والشكر والثناء والمدح لحضرة الله تعالى ينفعك في زيادة قربك منه جل جلاله، وينفعك في نزول الطمأنينة والسكينة على قلبك.

الشيخ يوسف النبهاني هو شيخ ورئيس محكمة في لبنان وقد كان عالماً فاضلاً رحمه الله خطر له أن يجمع آيات الحمد والثناء على الله تعالى في القرآن الكريم، وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجها لنا في كتاب، لكنه تفاجأ بحجم هذه الآيات؛ لأنه وجد أن ثلث القرآن الكريم حمد وثناء على الله، ووجد أكثر من عشرة آلاف حديث لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تتكلم عن حمد وثناء وشكر لله تعالى، فقال وجدت هذه المادة كبيرة جداً ولا تقرأ فاختصرتها وضغطها وأخذت مقتطفات منها ثم أخرج كتاباً اسمه **جامع الثناء على الله**.

والكتاب يتألف من 287 صحيفة ذكر فيها الآيات التي فيها الحمد والثناء على الله، ثم ذكر أحاديث لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيها حمد وثناء على الله، ثم ذكر مناجاة للصالحين والأولياء والعارفين بالله تعالى فيها وحمد وثناء على الله.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ))، [مسلم].

فالله يحب أن يحمد ويحب أن يشكر.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ))، [الطبراني].

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَاءَ مُنَادٍ فَنَادَى الْخَلَائِقَ: سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ الْيَوْمَ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: لِيَقُمِ الَّذِينَ كَانَتْ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: لِيَقُمِ الَّذِينَ كَانُوا يَشْكُرُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: لِيَقُمِ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يُحَاسَبُ سَائِرُ النَّاسِ))، [ابن أبي الدنيا].

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ))، [الترمذي وابن ماجه].

فإذا أطعمك الله فشكرته وحمدته، وإذا عافاك فشكرته وحمدته، وإذا أغناك وكفاك عن احتياج العباد فشكرته وحمدته فأنت بمنزلة الصائم الصابر.

عن عطاء قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعُبَيْد بن عُمَيْر على عائشة، فقال ابن عمر: حدِّثيني بأعجب ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت ثم قالت: **كلُّ أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى إذا دخل معي في لحافي وألصق جلده بجلدي، فقال:** ((يَا عَائِشَةُ، أَتَأْذَنِينَ فِي عِبَادَةِ رَبِّي؟)) **فقلت: إني لأحبُّ قُرْبَك وهواك، قالت: فقام إلى قِرْبة في البيت، فلم**

يُكْثر صَبَّ الماء ثم قام فقرأ القرآن، قالت: ثم بكى حتى رأيت دموعه بلَّت حُجْزته، ثم اتكأ على جنبه الأيمن، ثم وضع يده اليمنى تحت خده، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلّت الأرض، فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي، فقال: يا رسول الله، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفَلاَ أكُونُ عَبْداً شَكُورًا؟))، ثم قال: ((وَمَالِي لاَ أبْكِي، وقَدْ أنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، [آل عمران: 190]، ثم قال: ((ويلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا، ولَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا)).

[أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن الجوزي في الوفا، وابن حبان في صحيحه، وله رواية عند مسلم مقتصراً على آخر الحديث].

سأقرأ عليكم بعض الأحاديث التي سترون من خلالها كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمد الله تعالى على كل حال وفي كل لحظة من لحظات حياته:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ: ((اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا))، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ))**، [البخاري ومسلم].

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ))**، [البخاري].

قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي القائم بأمرك هو رب العالمين، فلا تجزع أو تهلع أو ينخلع قلبك، ولا تصلوا لمرحلة تحتاجون فيها إلى طبيب نفسي، ومعالجة ونفسية، ولا تَحملوا ثقل أسرتك وأولادك وزوجك ووالدك ووالدتك على رأسك؛ لأن القائم بالسموات والأرض ومن فيهن هو الله وليس أنت ولو وكلت بقطة لما استطعت أن ترعى هذه القطة.

كان بعض الصالحين يدعو ويقول: (**اللهم يا ملك الملوك يا من الملوك على بابك عبيد**).

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُعْطِيهِ وَضُوءَهُ فَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنْ اللَّيْلِ يَقُولُ: ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ))**، وَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنْ اللَّيْلِ يَقُولُ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))، [الترمذي والإمام أحمد].

عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ: ((أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟!)) فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا))، فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا فَقَالَ: ((لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا))**.

[مسلم].

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((...تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ...))، [البخاري].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ وَقَالَ مَرَّةً إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ))، وَقَالَ مَرَّةً: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى رَبَّنَا))**، [البخاري].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:**أَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ))**، [الترمذي].

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ))، [البخاري].

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ))، [الترمذي].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ))**.

[البخاري].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ الْغَزْوِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ يَبْدَأُ فَيُكَبِّرُ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ يَقُولُ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ))**، [البخاري].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: نَجِدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُولَدُ بِمَكَّةَ ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلاَ صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ سَرَّاءٍ، وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ، يَصُفُّونَ فِي صَلاَتِهِمْ كَمَا يَصُفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**، [الدارمي].

فيا أيها الإخوة مهما صرفت قلبك إلى حمد الله تعالى فأنت متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قريب من حضرة الله عز وجل، مطمئن القلب.

ومهما كنت شاكياً الله تعالى إلى خلقه ومهما كنت متأففاً من أقدار الله وقضائه فأنت بعيد عن حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعيد من الله عز وجل، موجوع في قلبك.

والحق يا إخواننا كما قال الله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، [إبراهيم: 34].

فلو جلس أحدنا ليجمع فضل الله عليه ونعمة الله عليه في صحته وعافيته وأهله وأولاده وسكنه وطعامه وشرابه فلن تنتهي النعم.

قال العلماء: ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ أي لا تحيطون لها عداً فضلاً عن شكرها.

تصوروا لو أن مريضاً بالقلب احتاج إلى تبديل صمامات فذهب لطبيب يحمل شهادات عالية جداً فقام له بعملية نجحت نجاحاً باهراً، ثم جعل له زيارات دورية ليطمئن عليه، وكان معه لطيفاً ومتواضعاً جداً ولم يطلب منه إلا مبلغاً زهيداً فكيف تكون حالة هذا المريض مع هذا الطبيب في بقية عمره؟ سيكون شاكراً وحامداً ومثنياً عليه مهما طال به الزمان.

فما بالك بالذي أعطاك القلب كله، واعتن به حتى لا يحتاج أحدنا منظماً لدقات القلب.

الله هو من ينظم دقات قلبك وتنفسك والسيالات العصبية ويعتني بظاهرك وباطنك ويحمي لك بيتك وأنت تجلس، ويرعى لك طعامك وشرابك، يعتني بالمزروعات لتأكل منها بعد فترة من

الزمان، يرسل لك في الجو غازات بكميات دقيقة لتستنشق هذا الأوكسجين، ينزل لك ماء من السماء ليخرج لك ماء عذباً فراتاً تشربه... فلو أردت أن تعد نعمة الله فلن تحصيها؛ لذلك اجعل قلبك حامداً لله عز وجل معترفاً بفضله دائماً.

التقيت في هذه الأزمة برجل من منطقة متضررة، فسألته عن نفسه وأهله فأدهشني بحاله حيث قال: أنا بنعم من الله لا تخطر على البال، فلم يمر علي في كل عمري حال من القرب من الله ومن النعم كما أعيش الآن، فقلت له: اشرح لي! فقال: نحن لم نعرف في حينا معنى كلمة (الله لطيف بعباده) إلا لهذا الوقت، حيث تجد الناس قد تخلوا عن الأثرة والأنانية حتى أصبحت اللقمة التي في يدي ليست لي فإذا أرادها جاري فهي له، والمائدة الموضوعة في بيتي هي لأي طارق أو مار أو إنسان لا يجد طعاماً، فكأني أشاهد الصحابة بأم عيني، أرى حالاً من القرب من الله عالياً جداً لكنني حزين على نفسي لماذا لم أنصرف إلى الله إلا بهذه الطريقة.

كان سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول: (**ما أصابتني مصيبة إلاَّ حمدت الله فيها على ثلاثة أمور**: أنها لم تكن في ديني، وأنها كانت هكذا ولم تكن أكبر من ذلك، وحمدته على الثواب الذي أرجوه منها).

نحن نسأل الله تعالى المعافاة لكن لا بد من البلاء فكل واحد منا مرت عليه وقت كان فيه مريضاً أو منكسراً... فإذا فهمت على الله هذا الدرس فإن العطاء الذي ستأخذه بعد هذا الانكسار والمرض أكبر بكثير مما أصابك من مرض وانكسار.

قَالَ عُبَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ: **لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ((**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي**))، **فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ**: ((**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ...**))، [الإمام أحمد].

أحياناً يشق الأب على ابنه الصغير في العمل فيرسله إلى صاحب عمل آخر فيقسو عليه مع أن الأب يملك أن يعطي ابنه مثل الذي يعطيه صاحب العمل بعشر مرات، لكنه يتركه ليتحمل تلك المشاق لأجل فائدة كبيرة عائدة على الابن.

يضغط الأب على أولاده للذهاب إلى المدرسة في أيام المرض والبرد والحر، وفي ساعات النهار الباكرة كل ذلك لأنه يرجو لهم من داخل هذه المشقة والضراء والكبد أن يكون لهم خير كبير ولن ينال هذا الخير إلا بهذه الطريقة.

فإذا أرسل الله لك النعماء فكن شاكراً، وإذا أرسل لك الضراء فكن صابراً وارض بقضاء الله تعالى وقدره.

كان بعض الصالحين يناجي ربه فيقول: (**راض بما أنت ترضاه أنا راض**).

أخبرت عن رجل كبير مصاب بمرض شديد جداً جاءه صديق له وأراد أن يدعو له بالعافية فقال له: بل ادع الله لي أن يعينني ويصبرني فما يعطيني الله في هذا البلاء شيء كبير.

ليس لأحدنا أن يسأل الله البلاء بل نسأله العافية، لكن لو نزل البلاء والضراء والشدة فكن صابراً وحامداً.

قال العلماء: **الشكر: (هو عكوف القلب على محبة المنعم، وعكوف الجوارح على طاعته، وعكوف اللسان على ذكره والثناء عليه)**.

والمطلوب منا في درس الحمد:

1- أن تجعل لسانك عاكفاً لهجاً بذكر الله تعالى والثناء عليه:

واحذر أن تشكو الله تعالى إلى خلقه فليس ذلك من الأدب مع الله وإذا ما ضاق عليك الأمر فعليك بساعات الليل وركعاته سجوده كما فعل سيدنا يعقوب عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، [يوسف: 86].

وهذا الأمر ليس تصنعاً بل هو حقيقة فالشيء الذي أكرمك الله به أمر لا يخطر على بال حسبك أنك من أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه عرفك به، وأنزل عليك قرآناً.

لو وهبت حياتك كلها حمداً لله جل جلاله لكان ما قدمته قليلاً.

نحن لا ندخل بيوت الله إلا بتوفيق الله، فكم هناك أناس محرومون من دخولهم لهذا المكان.

قال لي أحد الإخوة: قبل أن يمن الله علي ويتفضل بأن وفقني لدخول بيته كنت أصل إلى باب المسجد ثم لا أستطيع الدخول وكأن شيئاً يمنعني.

ما منعه هو صحبته وأحواله وإساءاته واعتداءاته.

أنت في نعمة ما بعدها نعمة، فأنت من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي يخاطبها الله تعالى في قرآنه وينزل عليها القرآن.

فرب العالمين أرسل لك رسالة ويقول فيها: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، [الحجر: 49].

لو قمت بجلسة تحليل سياسي للأوضاع التي تحصل معنا لآلمك رأسك وكلما حللت سياسياً أكثر لآلمك رأسك أكثر ويؤلمك قلبك أكثر، وتخرج من الجلسة غير فاهم لشيء مع أنك تجلس مع خبراء بالاستراتيجيات والإيديولوجيات والفكر التخطيطي والفكر السياسي الاجتماعي.

فإذا ملأت وقتك وجعلت لسانك مصروفاً لذكر الله تعالى فستنتفع وتنجو.

2- أن تجعل جوارحك عاكفة على طاعة الله تعالى:

طاعة الله ليست في الصلاة فقط؛ لأن الصلاة جزء من الطاعة فيجب أن تكون جوارحك عاكفة على أوامر الله، ويدك لا تمتد إلا إلى ما يرضى الله عز وجل.

لا يجوز أن تجعل عينك تنظر إلى ما لا يرضي الله.

لا يحق أو يصح أو يستوي من العبد مع سيده أن يستمع بنعمة الأذن إلى المجون والفحش والحرام.

لا يجوز أن تحضر بضائع غير جيدة، وأن تغبن الزبون في سلعة من السلع، أو أن تأخذ ديناً من أناس ولا تردهم إليه...

فبفعلك هذا لا تكون شاكراً لله، ولا تكون من أهل الحمادين الله على كل حال؛ لأن الله أعطاك يداً فعوضاً أن تكون **(وكنت يده التي يبطش بها)** جعلت يدك تعمل بما يملي عليك الشيطان من أذية هؤلاء الناس.

طاعة الله تكون في المسجد، والبيت، والسوق التجاري، والقصر العدلي، والسياسة... فكل ذلك من الدين ولا تعلم بأي عمل من هؤلاء سيدخلك الله به الجنة.

3- أن تجعل قلبك عاكفاً على محبة الله عز وجل والاعتراف بفضله جل جلاله:

وهذا الأمر يحتاج إلى كثرة ذكر لله تعالى مما يجعل قلبك يلهج دائماً بحب الله تعالى وموصولاً به جل وعلا.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يوم أحد فحرضهم وقال: ((والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة)) فقال عمير بن الحمام أخو بن سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

[سيرة ابن هشام].

توفى الله والدة أحد الإخوة بالسرطان بعد مرض دام خمس سنوات وهي تتناول الأدوية والمسكنات وفي السنة الأخيرة تطور المرض معها حتى وصل جسمها لمرحلة عدم الاستجابة وهي تتألم بشدة، فقال لي ابنها: أمي مع ألمها الشديد تقول يا رب كلي شكر لك أنا راضية عنك.

قطعت قدم إحدى الأخوات بمرض السكري، ثم قطعت رجلها الأخرى، ثم جرى معها مشكلة قلبية فحصل بأثرها تموت في جسمها فوضع لها مراهم سعر كل مرهم 500 ليرة سورية وما زال الجلد يتساقط، فذهبت إليها وأنا مستشعر للألم الذي فيها وللعناء الذي تعانيه ولا أدري ما سأقوله لها، فلما دخلت عليها جعلت تحمد الله وتثني عليه وتضحكني ببعض العبارات فقالت لي: ألا ترى ما سيعمل الله بي بالعيد وكانت الأيام المقبلة أيام عيد الفطر- كل الناس يشترون ثياب جديدة لكن الله سيلبسني جلداً جديداً.

هناك أناس اتصلت قلوبهم بربهم فصار يخرج من ألسنتهم كلمات تعبر عن شيء مما في داخلهم.

لكي تصير من هؤلاء الناس فعليك بـ:

أ. **الإكثار من ذكر الله تعالى.**

ب. **صحبة الناس الصالحين والراضين عن الله لينهضوا بقلبك فيملؤوه محبة لله عز وجل**

فمطلع سورة الكهف كان الحمد لله والله تعالى يقول ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، [النمل: 59] فالله أرسل لك رسالة يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده نحن بأن نحمد الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾، [الإسراء: 111].

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.